سلسلة
قصص في الأخلاق
٢٠
قصص في الكرم
مصطفى أحمد علي
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة قصص الأخلاق

٢٠

قصص في

الكرم

إعداد

مصطفى احمد علي

قَصَصٌ فِي الكَرَمِ

أَكْرَمُ العَرَبِ

كَانَ للأصْمَعِيِّ صَدِيقٌ كَـرِيمٌ، اعتَـادَ الأصْـمَعِيُّ أنْ يَـزُورَهُ كَـثِيراً، ويَأخُذَ مِنْ هَـدَايَاهُ وعَطَايَـاهُ. وذَاتَ مَـرَّةٍ، ذَهَـبَ إليـه كَعَادَتِـه، فَمَنَعَـهُ الحَاجِبُ مِنَ الدُّخُولِ. فَغَضِبَ الأصْمَعِيُّ وكَتَبَ فِي وَرَقَةٍ:

إذَا كَانَ الكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ   فَمَا فَضْلُ الكَرِيمِ علَى اللَّئِيمِ

ثُمَّ أعْطَى الوَرَقَةَ لِلْحَاجِبِ لِيُعْطِيَهَا لِصَـدِيقِه، فَأخَـذَهَا الحَاجِـبُ، ودَخَلَ للرَّجُلِ. وبَعْدَ لَحظَاتٍ.. عَادَ الحَاجِبُ، وأعَادَ الوَرَقَةَ للأَصْمَعِيِّ، ومَعَهَا كِيسٌ فِيهِ خَمسُمِئَةِ دِينَارٍ، فَلَمَّا نَظَرَ الأصْمَعِيُّ فِـي الوَرَقَـةِ، وَجَـدَ على ظَهْرِهَا:

إذَا كَانَ الكَرِيْمُ قَلِيلَ مَالٍ   تَحَجَّبَ بِالحِجَابِ عَنِ الغَرِيْمِ

فَتَعَجَّبَ الأصْمَعِيُّ مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ؛ رَغْمَ ظُرُوفِهِ الصَّعْبَةِ.

وذَهَبَ الأصْمَعِيُّ إلى الخَلِيفَةِ المَأمُونِ، وحكَـى لَـهُ القِصَّـةَ، وأَرَاهُ الوَرَقَةَ وَالكِيْسَ، فَتَعَجَّبَ الْمَأمُونُ، وَنَادَى أحَدَ رِجَالِه، وقَالَ لَهُ: اذْهَبْ مَعَ الأَصْمَعِيِّ إلَـى صَـدِيقِهِ، وأحْضِـرْهُ لِـيْ مِـنْ غَـيرِ أنْ تُزْعِجَـهُ. فَلَمَّـا أحْضَرُوا الرَّجُلَ إلَى الْمَأمُونِ، سَألَهُ وَهُوَ فِـي عَجَـبٍ شَـدِيدٍ: ألَـمْ تَأتِنَـا بِالأمْسِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

فَقَالَ المأمُونُ: ألَمْ تَشْكُ حَالَكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

قَالَ المَأْمُونُ : وعِنْدَمَا سَأَلَكَ الأَصْمَعِيُّ بِبَيْتٍ واحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ أعْطَيتَهُ الكِيْسَ؟!!

فَقَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِيْمَا شَكَوْتُ لَكَ ، ولَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالى أَنْ أُعِيْدَ قَاصِدِيْ إلاَّ كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ (يَقْصدُ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَرِيْمًا مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ).

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ وَهُوَ فَخُورٌ بِهِ : مَا وَلَدَتِ العَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ.

ثُمَّ أَكْرَمَهُ الْمَأْمُونُ ، وأَعْطَاهُ الكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ.

تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ تَاجِراً ، وكَانَتْ تِجَارَتُهُ كَبِيرَةً ورَابِحَةً ، وكَانَ يَمْتَلِكُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً.

وعَنْدَمَا تَدْخُلُ قَافِلَةُ تِجَارَتِه إلى المَدِينَةِ ، وهِيَ مُحَمَّلَةٌ بِالبَضَائِعِ ، تُحْدِثُ ضَجَّةً عَالِيَةً ؛ لِعِظَمِهَا ، ولِكَثْرَةِ مَا تَحْمِلهُ.

وكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوفٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ تِجَارَةٌ أُخْرَى مَعَ اللَّهِ ، فَقَدْ كَانَ دَائِمَ البَذْلِ والْعَطَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِنِصْفِ مَالِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ورُوِيَ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِخَمسمِئَة فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهكَذَا يَكُونُ أغْنِيَاءُ الْمُسْلمِينَ : لاَ يَبْخَلُونَ عَنِ الإنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلاَ يَرْضَوْنَ أَنْ يَبِيْتُوا فِي فُرُشِهِمُ الدَّافِئَةِ ، وإِخْوَانُهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَرْتَعِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ ، وصِغَارُهُمْ يَتَأَلَّمُونَ مِنَ الْجُوعِ.

العَفْوُ عَنِ الدَّيْنِ

يُحْكَى أنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ كَانَ عِنْدَهُ بُسْتَانٌ، وَبَاعَهُ إلَى مُعَاوِيَة بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ بِتِسْعِينَ أَلْفاً، فَلَمَّا أَخَذَ الثَّمَنَ، أَعْطَى نِصْفَهُ لِلنَّاسِ كَهَدَايَا وَهِبَاتٍ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ المُنَادِيْ أنْ يُنَادِيَ فِي الْمَدِينَةِ بأنَّ مَنْ كَانَ مُحْتَاجاً إلَى المالِ، ويُرِيدُ أنْ يَقْتَرِضَ، فَلْيَذْهَبْ إلَى قَيْسٍ لِيُقْرِضَهُ. فَجَاءَ نَاسٌ كَثِيرُونَ إلَى قَيْسٍ، فَأَقْرَضَهُمْ جَمِيعاً، حتَّى نَفِدَ المَالُ، وكَانَ قَيْسٌ يَأْخُذُ على كُلِّ مُقْتَرِضٍ وَرَقَةً فِيهَا المَبْلَغُ الَّذِي اقْتَرَضَهُ (مِثْلُ الإِيْصَالِ).

وبَعْدَ فَتْرَةٍ مَنَ الزَّمَنِ، مَرِضَ قَيْسٌ، فَلَمْ يَزُرْهُ إلاَّ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ أَصْحَابِهِ. فقَالَ لِزَوْجَتِهِ: لِمَ قَلَّ زُوَّارِيْ؟

فَأخْبَرَتْهُ أنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِنْ زِيَارَتِهِ؛ لِمَا لَهُ علَيهِمْ مِنْ دُيُونٍ.

فَأَحْضَرَ قَيسٌ الأَوْرَاقَ الَّتِي سَجَّلَ فِيهَا الدُّيُونَ الَّتِي علَى النَّاسِ، وأَرْسَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ الوَرَقَةَ الَّتِي فِيهَا دَيْنُهُ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وشَكَرُوا لِقَيْسٍ كَرَمَهُ وَجُودَهُ.

ولَمْ تَمُرَّ سَاعَاتٌ حتى كَثُرَ الزُّوَّارُ، وامْتَلأَ بِهِمْ بَيْتُ قَيْسٍ.

وَهكَذَا كَانَ قَيْسٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ يُقْرِضُ الْمُحْتَاجَ، ويَقْضِيْ عَنِ الْفُقَرَاءِ دُيُونَهُمْ، وكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالاً وفِعَالاً، فَإِنَّهُ لاَ يَصْلُحُ الْفِعَالُ إلاَّ بِالْمَالِ».

* * * * *

الْمَالُ والدَّارُ لَكُمْ

يُرْوَى أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ صَالِحٍ بَيْتٌ جَمِيلٌ يَعِيشُ فِيهِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَولادِهِ، تُرَفْرِفُ علَيهِمُ السَّعَادَةُ، ويُحِيطُهُمُ الأَمْنُ، وَفِي إحْدَى السِّنِينَ، وَاجَهَتْهُ أزْمَةٌ مَالِيَّةٌ، فَقرَّرَ أنْ يَبِيعَ دَارَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ واشْتَرَاهَا مِنْهُ، ودَفَعَ لَهُ ثَمَنَهَا.

وتَسَلَّمَ الْمُشْتَرِيْ الدَّارَ، وسكَنَ فِيهَا مَعَ أهْلِه، فَلَمَّا أَتَى اللَّيْلُ سَمِعَ بُكَاءً. فَسَأَلَ أَهْلَهُ: مَا هؤُلاءِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَهْلُ الرَّجُلِ الذِي بَاعَ لَنَا الدَّارَ.

فَسَأَلَ الرَّجُلُ: ولِمَاذَا يَبْكُونَ؟

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ يَبْكُونَ حُزْناً على دَارِهِمُ الَّتِي اشْتَرَيْنَاهَا مِنْهُمْ!!

وكَانَ هَذَا الْمُشْتَرِيْ تَقِيَّاً كَرِيماً، فَرَقَّ قَلْبُهُ لِحَالِ أَهْلِ البَائِعِ، فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِليهِمْ ويُخبِرَهُمْ بِأنَّ المَالَ والدَّار لَهُمْ جَمِيعاً.

يا قَوْمِ.. أَسْلِمُوا

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جوَاداً كَرِيماً، يُعْطِيْ الجَمِيعَ فِي سَخَاءٍ، وكَانَ لا يَرُدُّ أَحَداً إِذَا طَلَبَ مِنْهُ شَيْئاً، وَقَدْ دَخَلَ بَعْضُ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ، طَمَعاً فِي كَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَغْبَةً فِي عَطَائِه، وبَعْدَ أَنْ تَنْشَرِحَ صُدُورُهُم للإِيمَانِ، وتَمْتَلِئُ قُلُوبُهُمْ بِنُورِ الإِسْلامِ، يكُونُ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِليهِمْ مِنْ أمْوَالِ الدُّنْيَا.

وقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيعٌ مِنَ الأَغْنَامِ، فرآهُ رَجُلٌ وهُوَ يَرْعَى

بَينَ جبَلَيْنِ فَأعْجبَهُ، فَذهَبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُعْطِيَه لَهُ، فَلَمْ يَترَدَّدْ ﷺ وأعْطَاهُ لَهُ.

فَأخَذَ الرَّجُلُ القَطِيعَ وهُوَ مَسْرُورٌ، وذَهَبَ إلى قَومِه، فقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، أسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخَافُ الفَقْرَ.

وفِي ذَلكَ قَالَ أنَسُ بْنُ مَالكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ : إنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنيَا، فَمَا يُسْلِمُ حتَّى يكُونَ الإسْلامَ أحَبُّ إليهِ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عليهَا. [مُسْلِمٌ].

الصَّدِيقُ المَدِيْنُ

ذَهَبَ رَجُلٌ إلى بَيْتِ صَدِيقٍ لَهُ، وقَالَ لَهُ: لَقَدْ أتَيْتُ لأطْلُبَ مِنْكَ شَيْئاً، فَقَالَ الصَّدِيقُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إنَّ عَلَيَّ دَيْنًا، وقَدْ حَانَ أوَانُ تَسْدِيدِه، وأُرِيدُ أنْ أُسَدِّدَهُ.

فَقَامَ صَدِيقُهُ، وأحْضَرَ المَالَ الَّذي طَلَبَهُ وزِيَادَةً. فَأخَذَ الرَّجُلُ المَالَ، وانْصَرَفَ وهُوَ شَاكِرٌ وسَعِيدٌ.

وجَلَسَ الصَّدِيقُ حَزِيناً، وبكَى بِشدَّةٍ، فَظَنَّتِ الزَّوجَةُ أنَّهُ يَبْكِي حُزْناً علَى المَالِ الَّذِي أخَذَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَتْ لَهُ: لَقدْ كَانَ فِي وُسْعِكَ أنْ تَعْتَذرَ لِصَدِيقِكَ، ولاَ تُعْطِيْه مَالاً.. بَدَلاً مِنْ أنْ تَبْكِيَ حُزْناً علَى مَا أعْطَيْتَهُ مِنْ مَالٍ، لأنَّكَ تَعْلَمُ أنَّنَا لاَ نَمْلكُ مَا يَكْفِينَا.

فَقَالَ الزَّوْجُ: إنَّنِي أبْكِيْ لأنِّي لَمْ أسْألْ صَاحِبِي مِنْ قَبْلُ عَنْ حَالِه، وتَرَكْتُهُ حتَّى تَكَاثَرَتِ الدُّيُونُ عليه، واسْتَدَانَ مِنْ غَيرِيْ، ثُمَّ هَا هُوَ ذَا يَحْتَاجُ مَالاً لِيسُدَّ دَيْنَهُ، ويَطْلُبُ مِنِّي أنْ أُقْرِضَهُ، وكَانَ عليَّ أنْ أتَعَرَّفَ عَلَى أحْوالِهِ، وأُبَادِرَ أنَا وأُعْطِيَهُ قَبلَ أنْ يَسْألَنِي.

كَرَمٌ فِي الْخَفَاءِ

اسْتَيقَظَ فُقَرَاءُ مَدينَةِ بَغْدَادَ فِي الصَّبَاحِ، وخَرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ لِلسَّعْيِ وَرَاءَ أَرْزَاقِهِمْ وَقُوْتِ أولادِهِم، فَوَجَدُوا علَى أعْتَابِ بُيُوتِهِمْ أكْيَاساً مَمْلُوءَةً بِالدَّنَانيرِ، فأَخَذُوهَا وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ ويَتَسَاءَلُونَ: مِنْ أينَ جَاءَتْ؟ ومَنِ الَّذِي أرْسَلَهَا؟

وفِيمَا بَعْدُ عَرَفَ النَّاسُ أنَّ الفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الوَزِيرَ العَبَاسِيَّ هُوَ الذِي أمَرَ غِلْمَانَهُ بِأَنْ يَحْمِلُوا أكْيَاسَ الدَّنَانِيرِ وَيَضَعُوهَا أمَامَ بُيوْتِ الفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنْ أهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي السِّرِّ حتَّى لا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، فَيَكُونَ عَمَلُهُ خَالصاً لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

وكَانَ الْفَضْلُ شَدِيدَ الكَرَمِ، يُنْفِقُ بِسَخَاءٍ حتَّى بَلَغَ مَا أنْفَقَهُ فِي لَيلَةٍ وَاحِدَةٍ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ. وكَانَ إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خِزَانَتِهِ مِنْ كِسْوَةِ الصَّيْفِ، وَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خِزَانَتِهِ مِنْ كِسْوَةِ الشِّتَاءِ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ لِكَرَمِهِ حُبّاً شَدِيداً.

* * * * *

اللَّهُ أكْرَمُ

سَأَلَ مُوسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ رَبَّـهُ عَـنْ أَدْنَـى أهْـلِ الْجَنَّـةِ، وأَقَلِّهِمْ مَنْزِلَةً.

فَقَالَ اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ :« هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أهْـلُ الْجَنَّـةِ الْجَنَّـةَ، فَيَقُـولُ: رَبِّ كَيْـفَ وقَـدْ نَـزَلَ النَّـاسُ مَنَـازِلَهُـمْ، وَأَخَذُوا أَخْذَاتِهِم؟! فَيُقَالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يكُـونَ لَـكَ مِثْـلُ مُلْـكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ.

فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُـهُ وَمِثْلُـهُ وَمِثْلُـهُ، فَقَـالَ فِـي الخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أمثالِهِ، ولَكَ مَـا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ».

ثُمَّ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ أعلَى النَّاسِ مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ اللَّهُ ــ عَـزَّ وجَـلَّ ـ :«أُولَئِـكَ الـذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْـتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِيْ، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْـمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُـرْ علَـى قَلْـبِ بَشَـرٍ». (أي: هَـؤلاءِ الَّـذِينَ اصْـطَفَيْتُهُمْ واخْتَرْتُهُم، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أيُّ بَشَـرٍ تَصَـوُّرَ مَـدَى مَـا أكْـرَمْتُهُمْ بِـهِ وَأَعْدَدْتُهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ). [مُسلِمٌ].

* * * * *

سِبَاقٌ إلى الخَيْرِ

كَانَ الصَّحابَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ـ يَتَسَابَقُونَ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وكَانَ أَبُو بكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ أسْبَقَهُمْ إلى ذَلِكَ.

وفِي مَرَّةٍ، أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أصْحَابَهُ أنْ يَتَصدَّقُوا، فَسَارَعُوا جَمِيعاً إلى تَنْفِيذِ أمْرِهُ ﷺ.

فَذَهَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وأحْضَرَ نِصْفَ مَالِه، وهُوَ يَحْسَبُ أنَّهُ قَدْ جَاءَ بِأكْثَرَ مِمَّا سَيَجِيءُ بِهِ أَبُو بكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ، وقَالَ فِي نَفْسِه: اليوْمَ أسْبِقُ أبَا بكْرٍ.

فَلَمَّا أعْطَى الرَّسُولَ ﷺ الْمَالَ قَالَ لَهُ ﷺ: «مَا أبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟».

فَقَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ: مِثْلَهُ.

ومَا هِيَ إلاَّ لَحَظَاتٌ حتَّى جَاءَ أَبُو بكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وهُوَ يَحْمِلُ كُلَّ أمْوَالِهُ، وأعْطَاهَا الرَّسُولَ ﷺ. فَقَالَ لَهُ ﷺ: «يَا أبَا بكْرٍ، مَا أبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟»، قَالَ: أبْقَيتُ لَهُمُ اللَّهَ ورَسُولَهُ.

عِنْدَئذٍ قَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ: واللَّهِ لاَ أسْبِقُهُ إلَى شَيْءٍ أبَداً. (يَقْصِدُ أنَّ أبَا بكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ مَا سَابَقَ أحَداً إلى خَيرٍ إلاَّ سَبَقَه).

كَرَمُ ذِيْ النُّورَيْنِ

كَانَ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ دَائِـمَ البَـذْلِ والعَطَاءِ؛ فَسِيرَتُهُ تَمْتَلِئُ بِمَوَاقِفِ الكَرَمِ والْجُوْدِ.

عِنْدَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إلى الْمَدِينَة، وجَدَ النَّاسَ يَشْرَبُونَ مِنْ بِئرٍ تُسَمَّى بِئْرُ رُومَةَ، وكَانَتْ (رُومَةَ) أفْضَلُ آبَارِ الْمَدِينَة، وكَانَ مَالكُ البِئْرِ لاَ يَتْرُكُ النَّاسَ يَشْرَبُونَ مِنْهَا إلاَّ إذَا دَفَعُوا الثَّمَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئرَ رُومَةَ، فيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلاءِ الْمُسْلِمينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهُ فِي الْجَنَّة».

فَسَارَعَ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ واشْتَرَى البِئرَ، ثُمَّ تَصَـدَّقَ بِهَـا عَلَى الفَقِيرِ والغَنِيِّ وابْنِ السَّبِيلِ؛ يَشْرَبُونَ مِنْهَا بِلاَ مُقَابِلٍ.

ومَـرَّةً أُخْـرَى، لاَحَـظَ ﷺ أنَّ عَـدَدَ الْمُصَـلِّينَ قَـدْ زَادَ، وأنَّ الْمَسْجِدَ قَدْ أصْبَحَ ضَيِّقاً، فَقَالَ ﷺ لأصْحَابِه: «مَنْ يَشْتَرِيْ بُقْعَـةَ آلِ فُلانٍ (يَقْصِدُ الأرْضَ الْمُجَاوِرَةَ للمَسْجِدِ) فَيَزِيْدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟». فَسَارَعَ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ واشْتَرَاهَا.

وعِنْدَمَا أرَادَ الرَّسُولُ ﷺ الْخُرُوجَ لِغَزْوَة تَبُوْكَ، كَانَ الْمُسْـلِمُونَ يَمُرُّونَ حِينَئذٍ بِأيَّامِ فَقْرٍ وَضِيْقٍ وَعُسْرٍ، ولَـمْ يَجِـدْ ﷺ مَـا يُجَهِّـزُ بِـه الْجَيْشَ، لِذَلِكَ سُمِّيَ هَذَا الْجَيْشُ بِجَيشِ العُسْرَة، فَنَادَى ﷺ: «مَـنْ جَهَّزَ جَيشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فَسَارَعَ عُثْمَـانُ ـ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـه ـ وَجَهَّزَ الجَيْشَ مِنْ مَالِه.

وَشَبِعَ الصِّغَارُ

فِي لَيلَةٍ شَدِيدَةِ الْبرُودَة، حَالكَةِ الظَّلام، جَاءَت امْرَأةٌ إلَى حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، وكَانَ حَاتِمٌ مَضرِبَ الْمَثَلِ فِي الْجُوْدِ والكَرَمِ.

فَقَالَتْ لَهُ: جِئتُ إليكَ مِنْ عِنْدِ أَوْلادِي، وَهُمْ يَصِيحُونَ وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، فَهَلْ أَجِدُ عِنْدَكَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ جُوعَهُمْ؟

فَقَالَ لَهَا: واللَّهِ لأُشْبِعَنَّهُمْ.

وَلَمْ يَكُنْ حَاتِمٌ يَمْلِكُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ شَيْئاً سِوَى فَرَسِهِ، وكَان يُحِبُّهُ حُبَّاً شَدِيداً.

فَقَامَ بِسُرْعَةٍ إلى فَرَسِهِ وَذَبَحَهُ. ثُمَّ أوقَدَ عليهِ النَّارَ حَتَّى نَضَجَ. ثُمَّ أعْطَاهَا اللَّحْمَ، فَأكَلَتْ وَأكَلَ أولاَدُهَا حَتَّى شَبِعُوا جَمِيعاً.

حَقَّاً لَقَدْ كَانَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ رَجُلاً كَرِيماً سَخِيَّاً.

* * * * *

نَخْلَـةُ الْجَنَّـةِ

كَانَ أحَدُ الصَّحَابَةِ يمتَلكُ بُسْتَاناً ، وكَانَ فِي هَذَا الْبُسْـتَانِ نَخْلَـةٌ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ آخرُ .

وَذَاتَ يَومٍ ، ذَهَبَ الصَّحَابِيُّ إلى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، وطَلَـبَ مِنْـهُ أنْ يَتوَسَّطَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِ النَّخْلَة لِيتَنَازَلَ لَهُ عَنْهَا .

فَأرْسَلَ ﷺ للرَّجُلِ ، وقَالَ لَهُ : «أعْطِهِ إيَّاهَـا بِنَخْلَـةٍ فِـي الْجَنَّـةِ» فَرَفَضَ الرَّجُلُ .

فَلَمَّا عَلِمَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أبُو الدَّحْدَاحِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ بِمَـا حَدَثَ ، ذَهَبَ إلى صَاحِبِ النَّخْلَة وعَرَضَ عليه أنْ يَشْـتَرِيَ النَّخْلَـةَ ، علَى أنْ يُعْطِيَهُ بُسْتَانَهُ ثَمَناً لَهَا . فَوَافَقَ الرَّجُلُ ؛ لأنَّهُ سَيأخُذُ بُسْتَانَ أبِي الدَّحْدَاحِ كُلَّهُ مُقَابِلَ نَخْلَةٍ واحِدَةٍ ! !

وذَهَبَ أبُو الدَّحْدَاحِ إلى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ وأخْبَـرَهُ أنَّـهُ اشْـتَرَى النَّخْلَةَ ، وأنَّهُ قَدْ وَهَبَهَا لَهُ لِيعْطِيَهَا لِصَاحِبِ البُسْتَانِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَّاحٍ لأبِـي الدَّحْـدَاحِ فِـي الْجَنَّةِ» (أي مَا أكْثَرَ النَّخْلَ العَظِيمَ الذي أعَدَّهُ اللَّهُ لأبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ ؛ مُكَافَأةً لَهُ علَى مَا فَعَلَ).

وعَادَ أبُو الدَّحْدَاحِ إلى بُسْتَانه ـ وكَانَ يَسكُنُ فِيهِ مَعَ امْرَأتِه وَأولاده ـ ونَادَى زَوجَتَهُ : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، أُخْرُجِي مِنَ البُسْتَانِ ، فَإنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَتِ الزَّوجَةُ الْمُؤمِنَةُ : رَبِحَ البَيْعُ .

وَنَفَدَتِ الدَّرَاهِمُ

ذَاتَ يَومٍ.. أرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيرِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ إلى خَالَتِه السَّيِّدَةِ عَائشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ مئةَ ألفِ دِرْهَمٍ. فَوَضَعَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ ـ الْمَالَ فِي طَبَقٍ، وأخَذَتْ تُوَزِّعُهُ على الْفُقَرَاءِ، حتَّى فَرَغَ الطَّبَقُ مِنَ المَالِ تَمَاماً، ولَمْ تُبْقِ فِي بَيتِهَا دِرْهَماً واحِداً.

وكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ صَائمَةً فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الإفْطَارِ، قَالَتْ لِخَادِمَتِهَا: «هَاتِ فُطُورِي».

فَلَمْ تَجِدِ الخَادِمَةُ شَيْئاً تُقَدِّمُهُ لأُمِّ الْمُؤمِنِينَ إلاَّ الْخُبْزَ والزَّيْتَ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤمِنِينَ! أمَا اسْتَطَعْتِ أنْ تُبْقِي لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِيْ بِهِ لَحْماً؟! فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤمِنِينَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ: «لَو ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ».

وهكَذَا أكْرَمَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ غَيْرَهَا ونَسِيَتْ نَفْسَهَا.

* * * * *

كَرَمٌ عَظِيمٌ

ذَاتَ يَومٍ ، خَرَجَ صَدِيقَانِ فِي سَفَرٍ لَهُمَا ، وبَيْنَمَا كَانَا يَسِيرَانِ فِي الصَّحَرَاءِ ، هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، وتَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ بِالغُيُومِ ، وسَقَطَ الْمَطَرُ بِغَزَارَةٍ .

فَأَخَذَا يَبْحَثَانِ عَنْ مكَانٍ يَسْتَظِلانِ بِهِ حتَّى يَهْدَأَ الْمَطَرُ ، فَوَجَدَا خَيمَةً فِيهَا امْرَأَةٌ ، فَاسْتَأْذَنَا مِنْهَا أنْ يَنْتَظِرَا عِنْدَهَا حتَّى يَهْدَأَ الْمَطَرُ ، فأَذِنَتْ لَهُمَا .

وعِنْدَمَا عَادَ زَوجُهَا مِنَ الخَارِجِ قَالَتْ لَهُ زَوجَتُهُ : لَقَدْ نَزَلَ بِنَا ضَيْفَانِ ، فَقَامَ الرَّجُلُ ورَحَّبَ بِهِمَا ، ثُمَّ جَاءَ بِنَاقَةٍ وذَبَحَهَا ، وأَعدَّهَا لَهُمَا ، فَلَمْ يَأْكُلاَ مِنْهَا إلاَّ القَلِيلَ .

وفِي اليَومِ الثَّانِيْ ذَبَحَ لَهُمَا ذَبِيحَةً أُخرَى ، فَقَالا لَهُ : مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ البَارِحَةَ إلاَّ القَلِيلَ .

فَقَالَ لَهُمَا : إنِّي لا أُطْعِمُ ضُيُوفِي مِنَ الطَّعَامِ البَائِتِ .

وظَلَّتِ السَّمَاءُ تُمْطِرُ أَيَّاماً ، والرَّجُلُ يَذْبَحُ لَهُمَا ذَبِيحَةً كُلَّ يَومٍ .

وعِنْدَمَا هَدَأَتِ الرِّيَاحُ ، وتَوَقَّفَ الْمَطَرُ ، أَخَذَ الصَّدِيقَانِ يَسْتَعِدَّانِ للرَّحِيلِ ، وقَبْلَ أنْ يَرْحَلا تَرَكَا فِي الْخَيْمَةِ مِئَةَ دِينَارٍ كَمُكَافَأَةٍ للرَّجُلِ ، ولَمْ يَكُنْ مَوجُودًا فِي الْخَيمَةِ حِينَئِذٍ .

وقَالاَ لِزَوجَتِهِ : اعتَذِرِي لَنَا عِنْدَ زَوْجِكِ عِنْدَمَا يَرْجِعُ .

وعِنْدَمَا عَادَ الرَّجُلُ أخْبَرَتْهُ زَوجَتُهُ بِمَا حَدَثَ، فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، وانْطَلَقَ وراءَهُمَا.

وبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، لَحِقَ بِهِمَا فِي الطَّرِيقِ، وخَاطَبَهُمَا بِحِدَّةٍ وغَضَبٍ، فَلَمَّا استَفْسَرَا عَنِ السَّبَبِ، أَلْقَى إليهِمَا بِكِيسِ الدَّنَانِيرِ، وقَالَ: خُذُوهَا وَإلاَّ طعَنْتُكُمَا بِرُمْحِي هَذَا. ثُمَّ أخْبَرَهُمَا أنَّهُ لاَ يَأْخُذُ ثَمَنَ ضِيَافَةِ أحَدٍ. فَأخَذَ الصَّدِيقَانِ الدَّنَانِيرَ، وهُمَا سَعِيدَانِ بِهَذَا الْمَوقِفِ الكَرِيمِ.

قِصَصٌ فِي الكَرَمِ

الكَرَمُ خُلُقٌ نَبِيلٌ، وَصِفَةٌ طَيِّبَةٌ، اتَّصَفَ بِهِ الأَنْبِياءُ وَالرُّسُلُ، وَعُرِفَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَينَ قَومِهِ؛ كمَا عُرِفَ بِهِ الصَّحابَةُ والتَّابعِينَ.

وَالكَرَمُ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤمِنِ الحَقِّ، وَهُوَ شِعَارُهُ علَى الدَّوَامِ، فَالْمُسْلِمُ كَرِيمٌ لاَ يَتَّصِفُ بِالبُخْلِ أَوِ الشُّحِّ.

وَالكَرَمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللهُ سُبحانَهُ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[الطَّبَرانيُّ].

وَالكَرَمُ طَرِيقٌ إلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى الْفَوزِ بِرِضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجارِ الجَنَّةِ، أَغصَانُها مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنيَا، فمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنهَا قَادَهُ ذَلِكَ الغُصْنُ إلَى الْجنَّةِ. وَالبُخْلُ شَجَرةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ، أَغصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنهَا قَادَهُ ذَلِكَ الغُصْنُ إِلَى النَّارِ» [البَيْهقيُّ].

وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الكَرَمِ وَالكُرَماءِ، تُعَلِّمُنَا الالْتِزَامَ بالكَرَمِ، وَاجْتِنَابَ الشُّحِّ وَالبُخْلِ.

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦